أثر معرفة الله عزّ وجلّ وتوحيده في الحياة الطيّبة

الشيخ سامر توفيق عجمي

باحثٌ في العلوم الفلسفيّة والدينيّة وأستاذ في الحوزة العلمية / لبنان

ملخص البحث

يلحِظ الراصد لكلمات الفلاسفة والعلماء، أنّه ثمّة إقرار بالعجز عن معرفة كنه الحياة في ذاتها، ولذا تنزّلوا إلى تعريفها بآثارها، كالإدراك والفعاليّة، ويقابلها الموت، فهو انتفاء الحياة وفقدان آثارها في الكائن الّذي من شأنه أنْ يتّصف بها. فكلّ حصّةٍ خاصّةٍ من الحياة يقابلها حصّةٌ خاصّةٌ من الموت، فالكائن الواحد قد يتّصف بأنّه حيٌّ باعتبار، وميتٌ باعتبار.

ويمكن افتراض نوعين من الحياة: الخالية من الفقدان الذي من شأن الكائن الحيّ أنْ يتّصف به. والحياة التي يجامعها نقيضها من الأعدام: الصّحة/ المرض، الأمن/ الخوف، الغنى/ الفقر، الفرح/ الحزن، الجهل/ العلم... فالحياة الطيّبة هي سنخ حياةٍ يتمكّن الإنسانُ معها من تأمين حاجاته ورفع الفقدان.

وأهمّها مطلقًا: تحقيق الهدف الوجودي الذي خُلِق الإنسان من أجله، وإلّا مهما أشبع الإنسان من حاجاته الماديّة والنفسيّة والفكريّة و...، ولم يُحقِّق غرض خَلْقِه، لن يصل إلى الكمال المُستعدّ له، وبالتالي لن يشعر بالسعادة الحقيقيّة.

وقد بيّنت النصوص الدينيّة أنّ الله تعالى خلق الإنسان بهدف معرفته وتوحيده وعبادته. وقد جبل الله تعالى النفس البشريّة على جذبة العشق إلى الله تعالى، وفطرها على معرفته وتوحيده. فإذا كان مقوِّم الحياة الطيّبة تأمين الحاجات الفطرية، فعدم تلبية الفطرة التوحيديّة بمعرفة الله تعالى والانجذاب إليه، يصيب الإنسان بحالات اضطرابٍ نفسيّ وقلقٍ وكآبةٍ وحزنٍ وعدم الشعور بالتوازن.

فالكافر مثلًا يتّصف بحصةٍ خاصّةٍ من الحياة، وهي الحياة البيولوجيّة الماديّة، وموته الفيزيقيّ يعني فقدان هذه الحصّة من الخاصّة من الحياة، ولكنّه لكونه يملك استعداد نوعٍ آخر من الحياة الحقيقيّة، وهي الحياة التي تُفاض على الإنسان بسبب التوحيد ومعرفة الله، فهو ميّت بلحاظ فقدانه هذه الحصّة؛ ولذا يصدق عليه بأنّه: (ميّت الأحياء)، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: "**وآخر قد تسمّى عالمًا وليس به... فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميت الأحياء**".

وفي ضوء هذا الفهم للحياة، تتجلّى معاني النصوص الدينيّة، مثل: "**لا حياة إلّا بالدِّين، ولا موت إلّا بجحود اليقين**"، "**التوحيد حياة النفس**"، "**بالعلم تكون الحياة**"، و"**الجاهل ميت بين الأحياء**".

المقدّمة

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: "**اعلموا أنّه ليس من شيء إلّا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملُّه، إلّا الحياة، فإنّه لا يجدُ في الموت راحةً، وإنّما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة القلب الميّت، وبصر للعين العمياء، وسمع للأذن الصمّاء، وروي للظمآن، وفيها الغنى كلّه والسلامة**"[1].

الحياة أعظم نعمةٍ يعتقدها الإنسان لنفسه، إذ ليس وراء الحياة إلّا العدم والفناء، فغير الحيّ لا وجود له معرفيًّا، فهو بمنزلة العدم بالنسبة إلى عالم الإدراك والشعور؛ لأنّ أخصّ آثار الحياة هي المعرفة والفعاليّة. ولكن ليست أيّ حياةٍ هي التي تعلو قيمتها على كلّ قيمة، ونعمتها على كلّ نعمة، بل هي خصوص الحياة التي يعيشها الإنسان مع الله تعالى، في ظلّ معرفته وتوحيده وطاعته، فمن ذاق حلاوة محبّة الله تعالى وأنس بقربه لا يروم عنها بدلًا ولا يبتغي عنها حِولًا؛ لأنّه كما ورد في مناجاة العارفين: "**ما أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ، وَما أَعْذَبَ شِرْبَ قُرْبِكَ**"، وهي التي اصطلح عليها القرآن الكريم (الحياة الطيّبة)، إذ قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾[2]، وهذه الحياة ليست حياةً مجازيّة، بل هي حياةٌ حقيقية، يفيضها الله تعالى (فلنحيينّه) على من تلبّس بالإيمان والعمل الصالح، وليس الإحياء بالمعنى الصفتيّ، أي بإضافة صفةٍ جديدةٍ إلى حياة المؤمن تعرض على الحياة المشتركة بتبديلها من الخبث إلى الطيب مع بقاء أصل الحياة على ما هي عليه، وإلّا لقال تعالى: (فلنطيّبنّ حياتَه)، بل هي عبارة عن إنشاء نحوٍ خاصٍّ من الحياة الجديدة الابتدائيّة المختلفة عن الحياة العامة التي يشارك بها المؤمن سائر الناس.

هذه الحياة الطيّبة وقعت مُتعلَّقًا لأدعية الإمام زين العابدين ﷺ، فقال في دعاء عرفة: "**فَأَحْيِنِي حَيَاةً طَيِّبَةً تَنْتَظِمُ بِهَا أُرِيدُ، وَ تَبْلُغُ مَا أُحِبُّ مِنْ حَيْثُ لَا آتِي مَا تَكْرَهُ، وَ لَا أَرْتَكِبُ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ**".

وقال ﷺ في دعاء أبي حمزة الثمالي: "**وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ اَطَلْتَ عُمْرَهُ، وَحَسَّنْتَ عَمَلَهُ، وَاَتْمَمْتَ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَرَضِيتَ عَنْهُ وَاَحْيَيْتَهُ حَياةً طَيِّبَةً فِي اَدْوَمِ السُّرُورِ، وَاَسْبَغِ الْكَرامَةِ، وَاَتَمِّ الْعَيْشِ**".

وإذا كانت الحياة الطيّبة تتقوَّم بمعرفة الله تعالى وذكره وحضوره في حياة الإنسان، ففي المقابل فإنّ الإعراض عن معرفة الله تعالى وذكره وحضوره في حياة الإنسان يؤدّي إلى الحياة

الخبيثة التي اصطلح عليها القرآن الكريم: (معيشة ضنكًا)، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[٣].

فمن نسيَ ربّه وانقطع عن ذكره، لم يبقَ له إلّا أنْ يتعلّق بالدنيا ويجعلها مطلوبه الوحيد الذي يسعى له ويهتمّ بإصلاح معيشته والتوسّع فيها والتمتّع منها، والمعيشة التي أوتيها لا تسعه سواء كانت قليلة أم كثيرة؛ لأنّه كلّما حصل منها واقتناها لم ترضَ نفسُه بها، وانتزعت إلى تحصيل ما هو أزيد وأوسع، من غير أنْ يقف منها على حدّ، فهو دائمًا في ضيق الصدر وحنق مما وجد، متعلِّق القلب بما وراءه مع ما يهجم عليه من الهمّ والغمّ والحزن والقلق والاضطراب والخوف بنزول النوازل وعروض العوارض من موتٍ، ومرضٍ، وعاهةٍ، وحسد حاسدٍ، وكيد كائدٍ، وخيبة سعي، وفراق حبيب[٤].

وهذا البحث، يتكفّل بإثبات الفكرة المُتقدِّمة، بأنّ الحياة الطيّبة لا يتمكّن الإنسان من أنْ يعيشها إلّا في ظلّ معرفة الله تعالى وتوحيده، معتمدًا على العقل والنصّ في الوصول إلى الخلاصات والنتائج المطلوبة، خصوصًا أحاديث النبيّ وأئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين).

أوّلًا: تحليل طبيعة الحياة الإنسانيّة في ضوء الفلسفة والعلم والوحي

يلحِظ الراصد لكلمات الفلاسفة والعلماء، أنّه ثمّة إقرار بالعجز عن معرفة كنه الحياة في ذاتها، فلا العقل البشري تمكَّن من تحليل أجزاء ماهيتها، ليُعرِّفها تعريفًا منطقيًّا حديًّا ضمن شروطه وضوابطه، ولا الملاحظة الحسيّة والتجربة العلميّة اكتشفت عناصرها بالأجهزة التقنيّة في المُختَبر.

إلّا أنّه رغم هذا وذاك، كلّ فرد منّا -بوصفه كائنًا حيًّا- يُدرِك واقع الحياة بالمعرفة الحضوريّة والكشف الوجدانيّ، فلا يحتاج في معرفتها إلى الحدِّ المنطقيّ أو المعادلة العلميّة. نعم، إنّما يفتقر إلى ذلك لتكوين صورة مفهوميّة منطقيّة أو علميّة عنها، مع أنّه -أيضًا- يمكن للفرد أن يُشكِّل ذاتيًّا تصوّرًا إجماليًّا بسيطًا عن (الحياة)؛ لأنّ الله تعالى خلق الذهن البشريّ بكيفيّة خاصّة، يتمكّن معها من انتزاع صورٍ علميّةٍ عن الحالات الوجدانيّة التي يعيشها، فثمّة مرتبةٌ من مراتب الذّهن وظيفتها بالنسبة إلى صقع النفس، كوظيفة الذّهن اتجاه الواقع الخارجيّ، فكما أنّه يستطيع بأدوات معيّنة النظر إلى الخارج وانتزاع صورة خاصّة عنه، كذلك تلك المرتبة وظيفتها النظر إلى ما في صقع النفس، وانتزاع صور عن

الحالات الوجدانيّة والمعارف الحضوريّة التي تعيشها النفس، فكلُّ فردٍ يشعر بالحبّ، والشوق، والخوف، والحزن، والقلق... ويملك صورة إجماليّة عنها، وإنْ افتقد القدرة على التعبير عنها، فالعجز عن بيان الصور الذهنيّة والحالات الوجدانيّة بألفاظٍ خاصّةٍ لا يعني غياب الإدراك لها حضورًا وحصولًا.

وقد عرَّف الفلاسفة والمتكلّمون والطبيعيّون الحياة بلحاظ آثارها ولوازمها التي يلاحظها الإنسان عادة في الكائن الحيّ، إذ مع استحالة أو صعوبة فهم العقل البشري لواقعيّة ما بالكنه، يتنزّل إلى معرفتها بالوجه، ومعرفة وجه الشيء معرفته بوجه، -على حدٍّ تعبير صاحب الكفاية[٥]- ويقول العلامة المُظّفر: "لا يصحُّ الحكم على الشيء إلّا بعد تصوره ومعرفته بوجه من الوجوه ولو على نحو الإجمال؛ لأنّ تصوّر الشيء قد يكون بنفسه وقد يكون بوجهه... وهو كافٍ لصِحّة الحكم على الشيء. وهذا بخلاف المجهول محضًا، فإنّه لا يمكن الحكم عليه أبدًا"[٦].

وقد أجمع أعلام المدارس الفلسفيّة الإسلاميّة (المشائيّة، والإشراقيّة، والحكمة المتعالية)، على أنّ الحياة تُعرَف بوساطة توفّر عنصرين: الإدراك والفعاليّة (كالنمو والتنفّس والتغذي والتكاثر...)[٧]، والمتكلمون على توفّر العنصرين ذاتيهما مع اختلاف التعبير: القدرة والعلم[٨]. فالفلاسفة والمتكلّمون استدلوا على تلبّس موجودٍ ما بصفة الحياة بمنهج الكشف الإنّي بالانتقال من اللازم الأخصّ، أي: الدرّاكيّة والفعاليّة أو العلم والقدرة، إلى الملزوم أي الحياة.

وكذلك نلاحظ هذا الاتجاه في الفلسفات الطبيعية[٩] - مثل الفيزيقية، والحياتية، والعضوانية - إذ فسّرت الحياة بما لاحظه العلماء من آثار منبثقة عنها، كالحركة، الانفعال، الارتقاء، التخلّق المُتعاقِب، النمو، الإحساس، التجديد التعويضي، التكاثر، التكيّف، قابلية التحليل إلى جزئيات غير عضوية بسيطة، التعضّي، أي: التمتّع بأنظمة معقّدة ومنضبطة.

وعلى الضفة المقابلة للحياة، يقع الموت الذي يقابلها تقابل عدم الملكة، فالموت انتفاء الحياة وفقدان آثارها - الإحساس والفعاليّة - في الكائن الّذي من شأنه أنْ يتّصف بها. وعليه، إذا افترضنا كائنًا لا يتّصف بالحياة، فإنّه لا يتّصف بالموت. يقول السهروردي: "الموت انتفاء الحياة عمّا من شأنه أنْ تكون فيه"[١٠]. ويقول الطباطبائي: "... أما الموت فهو فَقْدُ الحياة وآثارها من الشعور والإرادة عمّا من شأنه أنْ يتصف بها"[١١].

وبناءً عليه، يمكن القول: إنّ كلّ حصّةٍ خاصّةٍ من الموت تقابل حصّةً خاصّةً موازيةً لها من الحياة، وبالتالي: إنّ فقدان حصّة خاصّة من الحياة مع قابليّة الموجود لها لا يعني مطلق الموت، بل موت خاص، فالكائن الواحد قد يتّصف بأنّه حيٌّ باعتبار وجدانه لحصّة خاصّة من الحياة، وأنّه ميت باعتبار فقدانه لنحوٍ آخر من الحياة من شأنه أنْ يتّصف بها ويملك استعدادها؛ وذلك لأنّ الحياة واقعيّةٌ اشتداديّةٌ لها مراتب مختلفة، فيكون الكائن القابل للاتّصاف بالمرتبة الأعلى متّصفًا بالموت بلحاظها لفقدانه لها مع استعداده لنيلها.

وإذا كانت المعرفة من لوازم الحياة، فغير الحيّ لا وجود له معرفيًّا، فهو بمنزلة العدم بالنسبة إلى عالم الإدراك والشعور. فـ"الحياة أنعم نعمة وأغلى سلعة يعتقدها الموجود الحيّ لنفسه، كيف لا؟! وهو لا يرى وراءه إلا العدم والبطلان"[١٢]. وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "**اعلموا أنّه ليس من شيء إلّا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملُّه، إلّا الحياة، فإنّه لا يجدُ في الموت راحةً، وإنّما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة القلب الميّت، وبصر للعين العمياء، وسمع للأذن الصمّاء، وروي للظمآن، وفيها الغنى كلّه والسلامة**"[١٣].

فالكافر مثلًا يتّصف بحصةٍ خاصّةٍ من الحياة، وهي الحياة البيولوجيّة الماديّة، وموته الفيزيقيّ يعني فقدان هذه الحصّة من الخاصّة من الحياة، ولكنّه لكونه يملك استعداد نوعٍ آخر من الحياة الحقيقيّة، وهي الحياة التي تُفاض على الإنسان بسبب التوحيد والإيمان ومعرفة الله والتديّن، فهو ميّت بلحاظ فقدانه هذه الحصّة؛ ولذا يمكن أنْ يصطلح ويصدق عليه حقيقة لا مجازًا بأنّه (ميّت الأحياء)، فهو حيٌّ من جهة بيولوجيّة، وميّتٌ من جهةٍ روحيّةٍ معنويّة، موتًا يتّصف به حقيقةً لا مجازًا، كما سيأتي بيانه.

فإذا كانت الحياة لا تُعرَف بذاتها بل بآثارها، وإذا كانت آثار الحياة تختلف من موجودٍ لآخر، كاختصاص الحياة الإنسانية بالتفكير العقليّ، والحياة الحيوانيّة بالإحساس والحركة، والنباتيّة بالنمو والتكاثر...، وإذا كانت ثمّة آثارٌ للحياة يمكن أنْ تكون ملحوظةً بالحواس، أو بالتحليل العقليّ، فإنّه ثمة آثار للحياة هي طور فوق طور العقل، لا يستقل بإدراكها، إلّا بمعونة نور الوحي، فعدم الوجودان الحسيّ أو العقليّ لأثرٍ من آثار الحياة ليس دليلًا على عدم وجوده واقعًا،

وعدم الدليل ليس دليلًا على العدم. فخفاء آثار حياة خاصّة في موجود لا تدلّ على نفيها عنه، فالعقل يحتاج في الكشف عن بعض أنواع الحياة إلى مصادر معرفيّة خارجيّة كالوحي الدينيّ أو الذوق الوجدانيّ تُلهمه وجودها بآثار خاصّة لها، فإذا تحقّقت تلك الآثار يمكن الاستدلال على تحقّق تلك الكيفيّة الخاصّة من الحياة بالمنهج الإنّي بالانتقال من المعلول إلى العلّة.

وهذا يعني أنّ الحياة من الحقائق المشكّكة، تقبل الشدّة والضعف، فبعض الموجودات الحيّة أولى بانطباق الحياة عليه بحسب المعنى[١٤]، فأشدية الحياة في مرتبةٍ من مرتبةٍ أخرى، لا تنفي عن الأدنى أنْ يكون مصداقًا للحياة، بل هو حيّ بحياةٍ تناسب مرتبته الوجوديّة.

وبناءً عليه، يكون الموت تشكيكيًّا في مقابل الحياة، فكلّ حصّةٍ خاصّةٍ من الموت تقابل حصّةً خاصّةً موازيةً لها من الحياة، فالشيء الواحد قد يتّصف بأنّه حيٌّ باعتبار وجدانه لحصّة خاصّة من الحياة، وأنّه ميتٌ باعتبار فقدانه لنحوٍ آخر من الحياة من شأنه أنْ يتّصف بها ويملك استعدادها، وهذا أصلٌ بنيويّ.

وفي ضوء هذا الفهم للحياة، تتضح كثيرٌ من الروايات عن الحياة والموت، منها:

قول أمير المؤمنين عليه السلام: "**لا حياة إلّا بالدِّين، ولا موت إلّا بجحود اليقين**"[١٥].

أو قوله عليه السلام: "**التوحيد حياة النفس**"[١٦]. أو قوله عليه السلام في صفة الزّهّاد: "**ويرون أهل الدّنيا يُعظِّمون موت أجسادهم، وهم أشدّ إعظامًا لموت قلوب أحيائهم**"[١٧]. وكذلك قوله عليه السلام: "**الموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين**"[١٨]. وقوله عليه السلام: "**بالعلم تكون الحياة**"[١٩]. ويقابله: عنه عليه السلام: "**الجاهل ميت بين الأحياء**"[٢٠].

وكذلك الأحاديث الواردة في الموت، منها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "**ليس من مات فاستراح بميت، إنّما الميت ميت الأحياء**"[٢١]. وعنه عليه السلام: "**وآخر قد تسمّى عالمًا وليس به... فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميت الأحياء!**"[٢٢]. إلخ من التعبيرات، فهي محمولةٌ على الحقيقة لا المجاز.

ثانيًا: تحديد مفهوم الحياة الطيّبة في ضوء الهدف الوجودي: معرفة الله والتوحيد

يمكن افتراض نوعين من الحياة التي يعيشها الإنسان ويتمتّع معها بالمعرفة والشعور والقدرة والفعاليّة:

١-الحياة الخالية من أيّ لونٍ من ألوان الفقدان الّذي من شأن الكائن الحيّ أن يتّصف به، ولا يجامعها نقيضها الذي هو الأعدام المختلفة. وهذا القيد: "شأنيّة الاتصاف بالفقدان"، ضروريّ؛ لأنّ فقدان أيّ كائنٍ حيّ لصفة من الصفات الوجوديّة على قسمين:

الأول: ما يكون صفة كمال، مع شأنيّة اتّصاف الكائن الحيّ بها، ففقدان صفة الكمال هذه، من شأنه أنْ يُشعره بالنقص وضغط الحاجة والتوتّر والاضطراب مع عدم تأمينها؛ لأنّه يفقد ما من شأنه أنْ يكون مالكًا له.

والثاني: ما يكون صفة كمال، ولكنّ لا يملك الكائن الحيّ قابلية الاتّصاف بها، فلا تُعدّ بالنسبة إليه عدم ملكة، وبالتالي، لا يكون هذا الفقدان بالنسبة إليه مُوجِبًا لتنغيص العيش وتكدير صفو الحياة والشّعور بالنّقص، فهو لا يفقد ما من شأنه أنْ يملكه، فليس ثمّة حاجةٌ لم تُلَبَّ كي يشعر بالضّغط النفسيّ والقلق والخوف أو الحزن والكآبة، الخوف ممّا هو آتٍ بلحاظ المآل، والحزن ممّا هو فائت بلحاظ الحال. وإلّا، فإنّه لا توجد حياةٌ خاليةٌ من أيّ لونٍ من ألوان الفقدان مطلقًا، إلّا الحياة التي تتلبّس بها الذات الإلهية المُقدَّسة؛ لأنّ الإمكان بحدّ ذاته هو نوع من الفقدان والفقر الوجودي، ولو كان مُطلق الفقدان مُوجِبًا لتنغيص العيش وتكدير صفو الحياة، لكان ذلك مرافقًا للإنسان حتّى في الجنّة، وهذا خلاف ما هو معلوم الثبوت من المنطق القرآنيّ.

٢-وممّا تقدَّم، تتبلور طبيعة القسم الثاني، وهو: الحياة التي يجامعها نقيضها، أي: الأعدام والفقدانات، التي من شأنها أنْ يتّصف بها الكائن الحي، كالحياة التي يعيشها الإنسان في الدّنيا، فإنّ من خصائصها: أنّها تشكّل لحظة وجود بين عدمين، عدم سابق وعدم لاحق: (**كنتم أمواتًا**) (**فأحياكم**) (**ثم يميتكم**) (البقرة: ٢٨). وأنّها سنخ حياة يجامعها نقيضها؛ لأنّها مُحاطةٌ بالفقدان وممزوجةٌ بالأعدام: الصّحة/ المرض، الأمن/ الخوف، الغنى/ الفقر، الفرح/ الحزن، الطمأنينة/ القلق، اليأس/ الرجاء، الضعف/ القوة، الجهل المركّب/ العلم، الظلم/ العدل...

وحياة هكذا نحو وجودها، من شأنها أن تولِّد مشاعر: الكآبة والقلق والاضطراب واللاتوازن النفسيّ والشعور المستمر بالحاجة والنقص...

فالحياة الطيّبة هي سنخ حياةٍ يتمكّن الإنسانُ معها من تأمين حاجاته وتلبية متطلباته ورفع النقص عن ذاته. والمقصود بالحاجات، ليست تلك التي تتعلَّق بالجانب الماديّ والبدني من الهوية الإنسانيّة، بل الأهم منها، تلك التي ترتبط بالجانب النفسيّ والروحيّ، فإنّ إقصاءها وعدم تلبيتها يضغط على الإنسان بشكل أشدّ.

وأهمّ الحاجات البشريّة التي تقع على رأس هرم الحاجات الإنسانيّة فلا تعلو عليها حاجة مطلقًا، هي: تحقيق الهدف الوجودي الذي خُلِق الإنسان من أجله، وإلّا مهما أشبع الإنسان من حاجاته الماديّة والنفسيّة والفكريّة و...، ولم يُحقِّق غرض خَلْقِه، لن يصل إلى الكمال المُستعدّ له بحسب الطبيعة، وبالتالي لن يعيش الشّعور بالسعادة الحقيقيّة؛ لأنّ السّعادة - على حدّ تعبير أبي نصر الفارابي-: "هي غاية ما يتشوّقها كلُّ إنسان"، وهي: "نهاية الكمال الإنسانيّ"[٢٣]، وقد عرَّف علماء الأخلاق السّعادة بأنّها: "وصول كلّ شخص بحركته الإراديّة النفسانيّة إلى كماله الكامن في جبلّته"[٢٤]، والمستعدّ له في فطرته، والكمال هو الانتهاء إلى الغاية والوصول إلى الهدف، لكن لا مطلقًا، بل خصوص الغاية التي خُلِق لأجلها وليس وراءها غاية[٢٥].

قال الراغب الأصفهانيّ: "كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كَمُلَ، فمعناه حَصَلَ ما هو الغرض منه"[٢٦]. فالحياة الطيّبة والسَّعيدة إنّما تتحقّق في ظلّ وصول الإنسان إلى كماله الفطريّ الواقعيّ، وحقيقة الكمال حصول الغرض الّذي لأجله خُلِق الإنسان، وإلّا ستكون حياته محاطةً بالنقص والعبثيّة؛ لأنّ العبث من لوازم عدم تحقيق الهدف.

وقد ثبت في مباحث علم النفس الفلسفيّ أنّ كمال الإنسان في قوتيه النظريّة والعمليّة يحصل بالتوحيد والتخلّي عمّا سوى الله تعالى.

قال المحقق النراقي: "فاعلم أنّها [أي النفس الإنسانيّة] إمّا ملتذة متنعمة دائمًا أو معذّبة متألمة كذلك. والتذاذها يتوقف على كمالها الذي يخصّها، ولمّا كانت لها قوتان النظريّة والعمليّة، فكمال القوة النظريّة: الإحاطة بحقائق الموجودات بمراتبها، والاطّلاع على الجزئيات غير المتناهية بإدراك

كلياتها. والترقّي منه إلى معرفة المطلوب الحقيقي وغاية الكلّ، حتى يصل إلى مقام التوحيد، ويتخلّص عن وساوس الشيطان، ويطمئن قلبه بنور العرفان. وهذا الكمال هو الحكمة النظريّة. وكمال القوة العمليّة: التخلّي عن الصفات الرديّة، والتحلّي بالأخلاق المرضيّة، ثم الترقّي منه إلى تطهير السرّ وتخليته عمّا سوى الله سبحانه. وهذا هو الحكمة العملية التي يشتمل هذا الكتاب على بيانها"[٢٧].

فثنائية الهوية الإنسانيّة -المادة والروح-، تجعل الجانب المادي من الطبيعة البشرية لا يمثِّل إلّا المستوى المنخفض من الحياة، وبالتالي مهما بلغت درجة إشباع الإنسان حاجاته البيولوجيّة والفيزيولوجيّة، فهو لا تلبّي إلّا جزءًا يسيرًا من حاجاته العامّة، فضلًا عن أنّها إشباعات لن يصطحبها معه إلى حياته الأبدية، وعلى حدّ تعبير ملّا صدرا: "بالموت يتجرّد النفس عن البدن، وليس يصحبها شيء من الهيئات البدنية"[٢٨]. مما يعني، أنّ تنمية الحياة الروحية من الهوية الإنسانية التي هي حقيقة وجوده، هي العنصر الأهم فيما يتعلّق بالحياة الطيّبة.

ثالثًا: تحديد الهدف الوجودي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٢٩].

ويقول تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾[٣٠].

ويقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[٣١].

تبيّن هذه الآيات القرآنية الكريمة أنّ الله تعالى خلق الإنسان بهدف جعله خليفةً في الأرض، وعبادته، ونيله فيض انبساط الرَّحمة الإلهيّة. وهذا الاختلاف في بيان الهدف، من باب تعدد الألفاظ لشمول المعاني، فكلّ واحدٍ منها يشير إلى جانب من جوانب هذا الهدف.

وقد أكّدت الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام هذه الهدفيّة؛ سأل أبو بصير الإمام الصادق عليه السلام عن الآية الأولى، فقال: "**خلقهم ليأمرهم بالعبادة**"[٣٢].

وعنه في روايات عدّة: "**خلقهم للعبادة**"[٣٣]. وسأله عن الآية الثانية، فقال عليه السلام: "**خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون [به] رحمته، فيرحمهم**"[٣٤].

فبضميمة هذه الرواية، وعودة اسم الإشارة: (لذلك) إلى ما هو أقرب: (رحم ربُّك)، وكون اللام في (لذلك) هي لام التعليل، يكون مفاد الآية: إنّ الله تعالى خلق الناس ليستوجبوا رحمته.

والعلة الغائية لا يلزمها القصر الحقيقيّ الحصريّ، فيكون القصر في الآية إضافيٌّ، فيكفي حينها أنْ تكون (الرحمة) واحدةً من غايات الفعل، أي الخلق، وقد تكون معها غايات أخرى، لا تتنافى معها، كالعبادة، والتي هي بنفسها أيضًا من موجِبات الرحمة التي كتبها الله على نفسه ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[٣٥]، والتي لا ينالها إلّا من حقّق الهدف الوجودي ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ...**﴾[٣٦].

والخلاصة، أنّ الإنسان لا ينال الحياة الطيّبة إلا بتحقيق الهدف الذي خُلق لأجله، وبسببه يستوجب الرحمة الإلهية، بأنْ ينتمي إلى مشروع الخلافة الإلهية، ويُنصِّب نفسه في مقام العبوديّة بين يدي ربّ العالمين ﷻ، بمعرفته، ومحبته، وشكره، وطاعته والخضوع له.

ومخّ العبادة يقوم على مبدأ التوحيد، قال تعالى: ﴿**يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[٣٧]، وفي سورة هود على لسان هود، وصالح، وشعيب: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[٣٨]... إلخ من الآيات الكثيرة.

وعن الإمام الباقر ﷺ في أخذ الله تعالى ميثاق الربوبيّة على ذريّة آدم، قال ﷺ: "... **فنظر آدم إلى ذريّته، وهم ذرٌّ قد ملأوا السّماء، فقال آدم** ﷺ: **يا ربِّ، ما أكثر ذريّتي!! ولأمرٍ ما خلقتَهم، فما تريد بأخذك الميثاق عليهم؟**

قال الله ﷻ: ﴿**يعبدونني، ولا يشركون به شيئًا، ويؤمنون برسلي، ويَتْبعونهم**﴾"[٣٩].

رابعًا: أقسام معرفة الله تعالى

تطلق (معرفة الله تعالى) على معانٍ، تتقاطع فيما بينها:

١. **القسم الأوّل: معرفة الله الفطريّة**، بمعنى: أنّ الله تعالى خلق النفس البشريّة بكيفيّة خاصّة، تعيش الجذبة إلى الله تعالى والشعور بعظمته وقوته، وكما أنّ النفس البشرية مصمّمةٌ بطريقةٍ تنجذب فيها إلى الله تعالى، كذلك هي مُصمَّمةٌ على أنّ المجذوب إليه بحسب الفطرة هو واحد

لا متعدّد، فالإلحاد والشرك والتثليث... على خلاف مقتضى الفطرة البشرية السليمة. وهذا ما أكّده القرآن الكريم ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * ... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٤٠].

وكذلك أحاديث النبيّ وأئمة أهل البيت ﷺ، منها:

- عن رسول الله ﷺ: "**كلّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ**... "[٤١].

- وعن حفيده الإمام الصّادق ﷺ: "**ما من مولودٍ إلّا يُولد على الفطرة، فأبواه اللّذان يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه**"[٤٢].

- وعنه ﷺ، قال: "**قال موسى بن عمران ﷺ: يا ربِّ، أيّ الأعمال أفضل عندك؟ فقال (عزّ وجلّ): حبّ الأطفال، فإنّي فطرتهم على توحيدي، فإنْ أمَتُّهُم أَدْخَلْتُهم برحمتي الجنّة**"[٤٣].

وسيأتي بيان هذه النقطة بشكل أوسع في المبحث الخامس.

٢. القسم الثاني: معرفة الله العقلية، بمعنى الوصول إلى معرفة الله تعالى وتوحيده بواسطة الأدلة العقلية والبراهين الفلسفية والكلاميّة، وهي سنخ معرفةٍ مفاهيميّةٍ تصوّريّة، تُشبع حاجة الإنسان إلى الإجابة عن الأسئلة الوجوديّة التي تثير القلق والحيرة والاضطراب والدهشة...، إذ كلّ إنسانٍ عندما ينظر في هذا الكون يُصاب بالدّهشة أمام عظمته، ويعايش ما أشرنا إليه سابقًا من الموت والألم والفقدان والعدم و...، فتطرح نفسه عليه بنحوٍ قهري جملة من الأسئلة الوجودية التي تُقلق تفكيره مهما كان بسيطًا في الحياة، من أين قدمت؟ من أوجدني في هذا العالم؟ إلى أين سأذهب؟ ... كما في الكلام المنسوب إلى أميرِ المؤمنينَ (عليهِ السلام): "**رحمَ اللهُ امرأ عرفَ: مِن أينَ؟ وفي أين؟ وإلى أين؟**"[٤٤]، هذه الأسئلة التي تلحّ على صاحبها بالتدبّر والنّظر في الآفاق والأنفس، ولن يرتاح باله إلّا بالإجابة عنها، وليس بأيّ إجابة، فإنّ الإجابة القائمة على أساس منطق العدميّة والعبثيّة واللاشيئيّة لن تُهدِّئ من رَوْعه وقلقه واضطرابه...، بل خصوص تلك الإجابة القائمة على أساس معرفة الله تعالى والإيمان به؛ لأنّه بها يحصل الاطمئنان وسكون النفس.

والخلاصة أنّ الله تعالى جهّز الإنسان فطريًّا بمعرفته وتوحيده، وكذلك زوّده بالطاقة العقليّة التي تمكنه من ممارسة النشاط الذهنيّ المطلوب لإدراك هاتين الحقيقتين. يقول السيّد

الخوئي: "لا يوجد الجاهل القاصر بالنسبة إلى وجود الصانع إلّا نادرًا، ... وكذا الحال بالنسبة إلى التوحيد، فإنّ كلَّ إنسانٍ ذي شعورٍ وعقلٍ كما يدرك أنّ له صانعًا يُدرِك بحسب ارتكازه الفطريّ أنّ الخالق (جلّ ذكره) واحد لا شريك له"(٤٥).

٣. **والقسم الثالث: معرفة الله الشهودية**، الحاصلة بصورتها البسيطة عند كلّ إنسان، يقول العلامة الطباطبائي: " العلة حاضرة بوجودها لمعلولها الرابط لها القائم بها المستقل باستقلالها، فهي معلومةٌ لمعلولها علمًا حضوريًّا إذا كانا مُجَرَّدَيْن"(٤٦)... كما الفطريّة، بل قد تكون هي هي، فهي بصورتها الأوّليّة التكوينيّة ليست معرفةً اختياريّةً بل قهريّة. لكن، هناك نوعٌ آخر من المعرفة الحضوريّة والشهوديّة، وهي التي تحصل بالاختيار، بالتحلية والتخلية والتجلية، فيقوى الشعور الوجداني بحضور الله تعالى في النفس ويزداد، فتكون مرتبة معرفة الله الحضورية متناسبةً مع مرتبة العروج الروحيّ للإنسان، وتنمية هذه المعرفة حاجة ملّحة للشخصية الإنسان؛ لأنّه في ظلّها يعيش الإنسان أبرز مظاهر تجلي الهدف الوجودي الذي خُلِق لأجله.

خامسًا: المعرفة الفطرية التوحيدية والحياة الطيّبة

سنركّز البحث على خصوص معرفة الله الفطرية، إذ أكّدت الروايات الواردة عن النبيّ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام على (المعرفة الفطرية بالله تعالى) باعتبار كونها حقيقةً تكوينيّة، خصوصًا في ضوء المنطق القرآني، كما اتّضح وسيتضح في النصوص التي سنعرضها، حيث إنّها اقترنت بالاستشهاد بالآيات أو تفسيرها.

١. عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ**﴾(٤٧)؟

قال عليه السلام: "**الحنيفيّة من الفطرة التي فطر الله النّاس عليها، لا تبديل لخلق الله. قال: فطرهم على المعرفة به**... وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **كلّ مولود يُولَد على الفطرة، يعني المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه، كذلك قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾**(٤٨)"(٤٩).

٢. عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾(٥٠)؟

قال عليه السلام: "**فطرهم على معرفة أنّه ربّهم، ولولا ذلك لم يعلموا -إذا سُئلوا- من ربّهم، ولا من رازقهم**"(٥١).

٣. وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله ﷺ قال: "قلت: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾؟ قال ﷺ: "**التوحيد**"(٥٢).

٤. وعن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: "أَصْلَحَكَ اللهُ، قول الله ﷻ في كتابه: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾؟

قال ﷺ: "**فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربُّهم**... "(٥٣).

والمقصود بالميثاق كما تفيده الروايات: قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾(٥٤).

وعن الأصبغ بن نباتة، عن علي ﷺ قال: أتاه ابن الكوّاء (عبد الله بن عمرو اليشكري، من الخوارج) فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الله تبارك وتعالى: هل كلَّم أحدًا من وُلْد آدم قبل موسى ﷺ؟ فقال علي ﷺ: "**قد كلَّم الله جميع خلقه، برّهم وفاجرهم، وردّوا عليه الجواب**". فثَقُل ذلك على ابن الكوّاء، ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ له: "**أوَما تقرأ كتاب الله! إذ يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، فقد أسمعهم كلامه، وردّوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله - يا بن الكوّاء -: (قالوا بلى). فقال لهم: إنّي أنا الله لا إله إلا أنا، وأنا الرّحمن، فأَقرُّوا له بالطّاعة والربوبيّة، وميَّز الرّسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأَقرُّوا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة إنّا كُنّا عن هذا غافلين**"(٥٥).

وفي الآية عن أبي جعفر الباقر ﷺ: "... **فقال الله: يا آدم، هؤلاء ذريّتك، أخرجتهم من ظهرك، لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبيّة، ولمحمد بالنبوة، كما آخذه عليهم في السماء (...) قال آدم: يا ربِّ، فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله ﷻ: أن لا يشركوا بي شيئًا**... "(٥٦).

وعن الإمام الصادق ﷺ في الآية: "**ثَبتت المعرفة في قلوبهم، ونسوا الموقف، وسيذكرونه يومًا، ولولا ذلك لم يدرِ أحدٌ من خالقه ولا من رازقه**"(٥٧). وعن زرارة، عن أبي عبد الله ﷺ في

الآية: قال عليه السلام: "**كان ذلك معاينة لله، فأنساهم المعاينة، وأثبت الإقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحدٌ خالقه ولا رازقه، وهو قول الله عزّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾**(٥٨)"(٥٩).

وقد أطلقت بعض الآيات على (الفطرة التوحيدية) اسم: (صبغة الله)، قال تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**﴾(٦٠). فالإنسان مخلوقٌ بلونٍ خاصٍّ من الميول والمعارف الممزوجة في جوهر ذاته، وليس كائنًا بلا لون وبلا صبغة، ومن أهمّ الميول الفطريّة التي تلوّنت وصُبغت بها نفس الإنسان بأصل التكوين، هي المعرفة بالله تعالى وتوحيده(٦١).

في المحصّلة يتبيّن مما تقدّم، أنّ:

١. معرفة أصل وجود الله تعالى فطريّةٌ مجبولةٌ في داخل الإنسان بأصل الخلقة والتكوين.

٢. التوحيد – بمعنى الانجذاب إلى كون الخالق والرازق والمغيث والقادر على تلبية الحوائج هو واحد – أمرٌ فطريّ في النفس البشريّة.

٣. هذه المعرفة (الفطرية التوحيديّة) ليست من سنخ المعارف الاختيارية التي تحصل بالكسب والتثاقف والتعليم، بل هي معرفة قهرية اضطراريّة ثابتة مستمرّة الحضور، وبالتالي لا يمكن انتزاعها من النفس البشرية. عن الحسن بن زياد قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ: ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾(٦٢)، هل للعباد بما حبّب صنع؟ قال عليه السلام: "**لا، ولا كرامة**"(٦٣).

وفي هذا السياق، نلحظ أنّه مهما حاول الإنسان دسّ الفطرة التوحيديّة في تراب الانغماس في اللذائذ الماديّة والمتعة الحسيّة، فإنّها تطفو على السطح وتظهر بين حين وآخر، خصوصًا في لحظات الشدائد والضعف والانكسار والشعور بالخوف والحاجة و... والتي تشكّل منبِّهات لإثارة الفطرة وإيقاظها من غفلتها، بنحو لا يستطيع الإنسان أنْ يحافظ على عنصر الغفلة عن معرفة الله دائمًا ﴿**أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾.

قال رجل للإمام جعفر الصّادق عليه السلام: "يا ابن رسول الله، دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عَليّ المجادلون وحيَّروني. فقال له: "**يا عبدَ الله، هل ركبتَ سفينةً قط؟**". قال: نعم. قال: "**فهل كُسِرت بكّ حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟**".

قال: نعم. قال: "**فهل تعلَّقَ قلبُك هنالك أنّ شيئًا من الأشياء قادرٌ على أنْ يُخلصّك من ورطتك؟**". قال: نعم. قال الصّادق عليه السلام: "**فذلك الشّيء هو الله، القادر على الإنجاء حيث لا مُنجي، وعلى الإغاثة حيث لا مُغيث**"(٦٤).

فالحياة التي تكدّر صفوها الشدائد وتنغّص عيشها لحظات الانكسار يمكن تحويلها من تهديد ومن حياة غير طيّبة إلى حياة طيّبة بالعودة إلى فطرة معرفة الله والاتصال بالله تعالى والارتباط به والانجذاب إليه. وروي عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: "**الله هو الذي يَتألَّه إليه عند الحوائج والشّدائد كلُّ مخلوقٍ عند انقطاع الرّجاء من كلِّ مَنْ دونه وتَقطُّعِ الأسباب من جميع من سواه**"(٦٥).

نعم، وإنْ كانت قهريّة، لكنها تحتاج إلى التربية والتثاقف للتنبيه عليها مقابل الغفلة، كما تقدّم في الأحاديث عن أنّ كلّ مولودٍ يولد على فطرة التوحيد، ولكن قد يشرك فيكون نصرانيًّا بالتربية الوالديّة. كما تحتاج هذه الفطرة التوحيديّة إلى تزكية النفس وتهذيبها لتنميتها؛ لأنّها معرفةٌ اشتداديّةٌ لها مراتب مشككة قوةً وضعفًا بالاختيار.

فالله تعالى وإنْ جهّز وجدان الإنسان بمعرفته، لكنّ الفطرة بحدّ نفسها ليست عنصرًا مستقلًّا وكافيًا في ذلك؛ ولذا، يبقى الإنسان في وصوله إلى معرفة الله يحتاج إلى أمور:

الأوّل: التربية وهداية المربّي، الذي يعمل على إنضاج تلك الفطرة كطاقة داخليّة في نفس الإنسان؛ لأنّ البيئة والتربية تؤدّيان دورًا مهمًّا في دسّ الفطرة أو تشويهها، كما في الحديث النبوي "**أبواه يهوّدانِه أو ينصّرانِه أو يمجّسانه**". وعن الإمام الصادق عليه السلام: "**احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم؛ فإنّ الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبيّة لعباد الله. والله إنّ الغلاة شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا**"(٦٦).

ولذا نلاحظ ضرورة التربية على التوحيد، مما يؤشّر إلى عدم كفاية الفطرة على نحو العلية التامة وإنْ كانت مقتضيًا، ولكن تحتاج إلى تحقق الشرط وهو التربية الحسنة، والإرادة، وارتفاع الموانع وهي البيئة الفاسدة وغير الصالحة.

روى عبد الله بن فضالة، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام، قال: سمعته يقول: "**إذا بلغ الغلام**

ثلاث سنين، يقال له: قل: لا إله إلا الله سبع مرّات. ثم يُترك حتّى يتمّ له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يومًا، فيقال له: قل: محمّد رسول الله سبع مرّات. ويُترك حتّى يتمّ له أربع سنين، ثم يقال له: قل سبع مرات: صلّى الله على محمّد وآله... "[٦٧]. وعن النبيّ ﷺ: "**إذا أفصح أولادكم، فعلّموهم لا إله إلا الله...**"[٦٨].

وأفصح الطِّفل في منطقه إفصاحًا، إذا فَهِمْتَ ما يقول في أوّل ما يتكلّم[٦٩]، وهو عادة ما يحصل في سنّ الثالثة. وعن النبيّ ﷺ، قال: "**من ربّى صغيرًا حتّى يقول: لا إله إلا الله، لم يحاسبه الله**"[٧٠].

والثاني: الإرادة الذاتيّة في الحفاظ على الفطرة السليمة، بتهذيب النفس وتزكيتها.

الحياة الطيّبة وضرورة تلبية نداء الفطرة

إذا كانت معرفة الله تعالى فطريّةً ــ بمعنى أنّها داخلةٌ في صميم ذاته ــ وجزءًا جوهريًّا في تكوينه النفسي، ومن خصائص الشّعور الفطري أنّه:

أ.ثابت لا يقبل التغيّر والتبدّل.

ب.ضروري لا يقبل الزّوال والانفكاك.

ج.كلّي شامل لعموم أفراد البشر.

د.دائم في كلّ زمان وجميع الأحوال.

وإذا كان الإنسان يحتاج إلى تلبية نداء الفطرة وتأمين حاجاتها، فالنتيجة أنّه: من أركان الحياة الطيّبة تأمين الحاجات الفطرية للنفس البشرية، وتلبيه ندائها؛ لأنّ العمل على خلاف مقتضى نداء الفطرة هو شذوذ؛ لأنّ تعريف الشذوذ أنّه ما كان على خلاف مقتضى الطبيعة، والشذوذ هو حالة مرضيّة، فعدم تلبية الحاجة الفطرية التوحيديّة بتفتح وتنمية معرفة الله تعالى والشعور به والجذبة إليه، يصيب الإنسان بحالات اضطرابٍ نفسيّ وقلقٍ وكآبةٍ وحزنٍ وعدم الشعور بالتوازن كما عند الملحدين واللاأدريين.

يقول كارل يونج –عالم النفس السويسريّ ومؤسِّس علم النفس التحليلي–: "انعدام الشّعور الدِّيني يُسبِّب كثيرًا من مشاعر القلق والخوف من المستقبل والشّعور بعدم الأمان والنّزوع

نحو النّزعات الماديّة البحتة، كما يؤدّي إلى فقدان الشّعور بمعنى ومغزى هذه الحياة ويؤدّي ذلك إلى الشّعور بالضياع"[٧١].

وقد أجرى البروفيسر Bertolote Manoel José – مشرف مسؤول في منظّمة الصّحة العالميّة – دراسةً تدرس نسبة المنتحرين حسب الدّين. فكان الملحدون على رأس قائمة الّذين قتلوا أنفسهم ليتخلَّصوا من حياتهم وتعاستهم، بنسبة (٤٠٪)، يليهم البوذيون (٢٤٪)، من ثمّ المسيحيون (١٨٪)، وفي ذيل القائمة يأتي المسلمون (١٪)[٧٢].

وبهذا تتبين سذاجة رأي الفيلسوف اللاأدري برتراند رسل حيث يقول: "يقوم الدِّين، برأيي، بصورةٍ أساسيّةٍ وأوليّةٍ على الخوف، إنّه جزئيًا الخوف من المجهول... إنّ الخوف هو أساس الأمر كلِّه – الخوف من كلّ ما هو غامض، الخوف من الهزيمة، والخوف من الموت، إنّ الخوف هو أبو القسوة وأمها؛ لذا، لا عجب إذا ما كان الدِّين والقسوة يسيران يدًا بِيَد"[٧٣].

مُعتَبرًا أنّه اليوم، وبعد تطوّر عقل الإنسان واكتشف بوساطة العلوم التجريبية العلاقات القائمة بين الظّواهر الطّبيعيّة وأسباب حدوثها، فلم يعد هناك داعٍ للخوف منها، فعلى الإنسان والحال هذه أنْ يتحرّر من الاعتقاد بالله، والحلّ يكمن في الإيمان بالعلم وقدرته على تغيير حياة الإنسان. لذا يتابع رسل قوله: "العلم يستطيع أنْ يساعدنا في تجاوز هذا الخوف الذي يصيبنا بالجبن والذي عانى منه الجنس البشري لأجيال عديدة"[٧٤].

ولو تجاوزنا نقطة أنّه لو كان ما تطرحه هذه الشُّبهة – من أنّ الخوف من الطبيعة هو العلّة التامّة أو المُقتضي لنشوء الانجذاب إلى الله تعالى– صحيحًا، إلّا أنّ منطق قانون السّببيّة –القائم على أساس أنّه عندما يوجد السّبب يوجد المسبَّب، وعندما ينتفي السّبب ينتفي المسبَّب – يستلزم أنْ يكون المجتمع الأكثر إيمانًا بالله تعالى هو المجتمع الأكثر خوفًا، فأينما يوجد الخوف يوجد التديّن، وعندما ينتفي الخوف ينتفي التديّن وتكثر النّزعة الإلحاديّة، مع أنّ الأمر على العكس تمامًا.

يقول الشهيد الصدر: "توصّل الإنسان إلى الإيمان بالله منذ أبعد الأزمان، وعبده وأخلص له، وأحسّ بارتباط عميق به ... ولم يكن هذا الإيمان وليد مخاوف وشعور بالرعب تجاه كوارث الطبيعة وسلوكها المضادّ، ولو كان الدين وليد خوف وحصيلة رعب لكان أكثر الناس تديّنًا

على مرّ التاريخ هم أشدّهم خوفًا وأسرعهم هلعًا، مع أنّ الذين حملوا مشعل الدين على مرّ الزمن كانوا من أقوى الناس نفسًا وأصلبهم عودًا. بل إنّ هذا الإيمان يعبّر عن نزعة أصيلة في الإنسان إلى التعلّق بخالقه، ووجدان راسخ يدرك بفطرته علاقة الإنسان بربّه وكونه"[٧٥].

نلحظ أنّ الإيمان بالله مصدر طمأنينةٍ وشعورٍ بالسكينة كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: ٢٨) وكما اتضح ممّا ورد في الروايات بأنّ الإنسان في لحظة الخوف لا يمكن أن يشعر بالطمأنينة إلّا في ظلّ المعيّة الإلهية، التي تكسبه الشعور بالقوّة في الحياة، والشجاعة والثقة بالنفس، وهذا ما نلمسه في حياة الأنبياء ﷺ والأولياء، فيوسف ﷺ، ذلك الطِّفل الذي كان في التاسعة من عمره، حين ألقاه إخوته في غيابت الجُبّ، والتقطه بعض السيّارة وأُخرج ﷺ من البئر، قال لهم قائل: استوصوا بهذا الغريب خيرًا، فقال لهم يوسف: "**من كان مع الله فليس عليه غربة**"[٧٦]، فالشعور بالمعية الإلهية وجذبة العشق إلى الله تعالى تدفع عن الإنسان الوحشة والغربة والوحدة والقلق والاضطراب.

أمّا الملحد يعيش القلق الوجودي والخوف والكآبة والتشاؤم نتيجة الشعور بلا معنائية الحياة والعبثية واللاهدفية. بل هذا الشّعور بالخوف - كما اتّضح سابقًا - هو أحد الدّوافع التي تحرّك المُلحد والمشكك والفاسق نحو الله تعالى، عندما تتقطّع به الأسباب الماديّة التي كان يتوسّل بها ليشعر بالأمان، يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٧٧]، ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾[٧٨].

معرفة اللة والحياة الطيّبة في الروايات

سادسًا: معرفة الله والحياة الطيّبة في ضوء نصوص أهل البيت ﷺ

هناك آياتٌ قرآنيّةٌ كثيرةٌ تربط بين الإيمان بالله تعالى ومعرفته وبين الحياة الطيّبة، الحياة التي تملؤها الطمأنينة، والسكون النفسي، وتخلو من الخوف والحزن...

يقول تعالى:

﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾[٧٩].

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٨٠).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٨١).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٨٢).

ولكن بحثنا في مدرسة أهل البيت، ولذا سنقتصر البحث على ما ورد في الروايات.

أ. أثر معرفة الله تعالى في أنْ تصغر الدّنيا في عين المؤمن، فلا يمدّ عينيه إلى ما متّع الله تعالى به الأعداء من زهرتها

عن الإمام الصادق عليه السلام: "**لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا، ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطأونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله عزّ وجلّ، وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله عزّ وجلّ أنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونور من كل ظلمة، وقوة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم**"(٨٣).

من أهم آثار الحياة الطيّبة هي أنْ ينظر الإنسان إلى ما يتمتّع به أعداء الله في الدّنيا من نعيم: كالبيت الفاخر، والسيارة الفارهة، وكثرة المال، و.... بعين الاستصغار، فعندما يعظم الخالق في نفس المؤمن يصغر ما دونه في عينه، نعم هذا لا يعني ألّا يسعى الإنسان المؤمن من حلال إلى تحصيل البيت الواسع، والسيارة الجميلة، والراحة الماديّة، ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾(٨٤). فإنّ ذلك ممّا أكّدت عليه الروايات، و"قد روي في الصحيح عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا لنحبُّ الدنيا!!

فقال لي: "**تصنع بها ماذا؟**"

قلت: أتزوج منها، وأحجُّ، وأنفق على عيالي، وأنيل إخواني، وأتصدق.

قال لي: "**ليس هذا من الدنيا، هذا من الآخرة**"(٨٥).

فالمؤمن أحقّ بنعمة الله تعالى في الدّنيا من الكافر والفاجر، فعن مسعدة بن صدقة، قال: دخل سفيان الثوريّ على أبي عبد الله عليه السلام، فرأى عليه ثياب بيض كأنّها غُرقئ البَيْض(٨٦).

فقال له: إنّ هذا اللباس ليس من لباسك. فقال عليه السلام له: "**اسمع مني، وَعِ ما أقولُ لك، فإنّه خير لك عاجلًا وآجلًا، إنْ أنت متَّ على السُنّة والحقّ ولم تمت على بدعةٍ، أُخبِرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مُقفِر جدب، فأمّا إذا أقبلت الدنيا فأحقُّ أهلها بها أبرارها لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفارها، فما أنكرت يا ثوري!! فوالله إنّني لمع ما ترى، ما أتى عليَّ مذ عقلت صباح ولا مساء، ولله في مالي حقٌّ أمرني أن أضعه موضعًا إلّا وضعته**"[٨٧].

وفي بعض الروايات أنّه عليه السلام استدلّ بتلك الآية أيضًا.

فهذه الروايات واضحة الدلالة على أنّ المؤمن أحقّ أنْ يتمتع بنعم الله تعالى من غيره، لكن، بشرطها وشروطها، بأنْ يكون ذلك في حلال، وبأنْ يخرج ما لله تعالى في ماله من حقوق... إلخ.

وقد مرّ الصادق عليه السلام بمواقف عدّة نتيجة كونه يلبس جُبَّةُ خَزٍّ وَطَيْلَسَانُ خَزٍّ أو غير ذلك، فيوجّه بعض الناس إليه اللوم والعذل والعتاب كما تقدّم عن سفيان الثوري، فيستدل عليه السلام بتلك الآية، ويجيب مثلًا: "**إِنَّ اللهَ عزّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَاهَا عَلَيْهِ**".

ويستشهد بأفعال الأنبياء وصحابة النبيّ، مثل:

أنّ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا بَعَثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْخَوَارِجِ يُوَاقِفُهُمْ، لَبِسَ أَفْضَلَ ثِيَابِهِ، وَتَطَيَّبَ بِأَفْضَلِ طِيبِهِ، وَرَكِبَ أَفْضَلَ مَرَاكِبِهِ، فَخَرَجَ، فَوَاقَفَهُمْ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، بَيْنَا أَنْتَ أَفْضَلُ النَّاسِ، إِذْ أَتَيْتَنَا فِي لِبَاسِ الْجَبَابِرَةِ وَمَرَاكِبِهِمْ! فَتَلاَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ...

وكذلك مرّ قبله أبوه الباقر وبعده حفيده الرضا وغيرهما من الأئمّة عليهم السلام بهذه المواقف، وكانوا يستدلون بهذه الآية ومواقف الأنبياء عليهم السلام كيوسف وسليمان[٨٨]...

ب. أثر معرفة الله تعالى في الأنس من الوحشة والشفاء من كلّ سقم والقوة من كلّ ضعف:

تقدّم في الرواية عن الصادق عليه السلام أنّ معرفة الله تعالى تنعكس إيجابًا على حياة الإنسان بأن يعيش حالة الأنس، والقوة، والصّحة، وقد ربطت الروايات بين معرفة الله تعالى وبين هذه الآثار، منها:

ج. أثر معرفة الله في الصبر على البلاء:

د. أثر معرفة الله في التسليم لقدره والرضا بقضائه:

ذكرنا أنّ الحياة الطيّبة، هي تلك الحياة التي لا يجامعها نقيضها من الفقدان، ولكن، على فرض معاناة المؤمن ومقارنة حياته بالفقدانات في المستوى المنخفض من الوجود الماديّ، وهو أمر حاصلٌ كثيرًا، حيث تقترن حياته بالفقدان، كأن يمرض، أو يكون فقيرًا، أو يفقد حبيبًا، أو يخسر مالًا...، وهذه سنّة من سنن الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾[٨٩]، فإنّ ذلك وإن كان خسارة بالمنظار الماديّ والمقاييس الدنيويّة الظاهريّة، إلّا أنّه إذا كان كان ذلك في سبيل الله مع الصبر على بلائه والتسليم لقدره والرضا بقضائه، فإنّه ظاهره العذاب والفقدان، ولكن باطنه من قِبَله الرحمة والوجدان، ولذا تعقّب الآية: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[٩٠]، فتكون في الحقيقة حياة طيّبة باطنًا وإنْ كانت غير ذلك بالنظر البدويّ ظاهرًا.

فمن آثار معرفة الله تعالى هي التسليم لقضائه:

عن الإمام الباقر عليه السلام: "**أحقُّ خلق الله أنْ يسلِّم لما قضى الله عزّ وجلّ: من عرف الله عزّ وجلّ**"[٩١]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: "**إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ**"[٩٢].

ويترتّب على ذلك العيش الهنيئ والراحة والحياة الطيّبة؛ لأنّها مملوءةٌ بالرّضا والتسليم والطمأنينة والسلام الداخليّ وصلوات من الله ورحمة، وارتفاع الخوف والحزن وطرد الهم والغم.

عنه عليه السلام: "**إنّ أهنأ الناس عيشًا من كان بما قسم الله له راضيًا، من رضي من الله بما قسم له استراح بدنه**".

وعنه عليه السلام: "**ارضَ، تسترحْ**".

وعنه عليه السلام: "**الرضا ينفي الحزن**".

وعنه عليه السلام: "**نعم الطارد للهم، الرضا بالقضاء**"[٩٣].

هـ.من آثار معرفة الله أنّها تحرّك الإنسان نحو طلب الحياة الطيّبة الأبديّة:

عن الإمام علي عليه السلام: "**عجبتُ لمن عرف ربَّه كيف لا يسعى لدار البقاء؟!**"[٩٤].

و.عن الإمام الرضا عليه السلام يبيّن فيه آثار الإقرار بالله تعالى في الحياة الطيّبة الخالية من الظلم

والفساد والاعتداء: "... **من لم يقرَّ بالله (عزَّ وجلّ)، ولم يجتنب معاصيه، ولم ينتهِ عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحدًا فيما يشتهي ويستلذ عن الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كلّ إنسانٍ ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ووثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج والأموال... ومنها: أنّا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمورٍ باطنةٍ مستورة عن الخلق، فلولا الإقرار بالله وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحدًا في ترك معصية**"[٩٥].

سابعًا: لخرجوا من حدود الإنسانيّة إلى حدّ البهيميّة[٩٦]

خلق الله تعالى بحكمته – كونه لا يفعل العبث ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**﴾[٩٧]– لهدف خاصّ، ومعرفته وعبادته وشكره ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٩٨]، ومكَّن الإنسان من الأدوات التي تجعله قادرًا على تحقيق هذا الهدف، كالعقل والقلب والجوارح، ليتدبر ويتعقّل ويفقه ويتفكّر ويشكر.

قال تعالى: ﴿**وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٩٩]، ﴿**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[١٠٠]، ﴿**نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾[١٠١]، ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[١٠٢]، ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾[١٠٣].

وأوضح منها في بيان الهدف، ما في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[١٠٤]. فحقيقة الشكر متقوّمةٌ بأنْ يستثمر الإنسان هذه الأدوات التي جهّزه الله تعالى به في الهدف الّذي خلقه لأجله المُنعِم[١٠٥].

يقول العلامة الطباطبائي: "إنّ النعمة – وهي الأمر الذي يلائم المُنعَم عليه ويتضمن له نوعًا من الخير والنفع – إنّما تكون نعمة بالنسبة إلى المُنعَم عليه إذا استعملها بحيث يسعد بها فينتفع، وأمّا لو استعملها على خلاف ذلك كانت نقمةً بالنسبة إليه، وإنْ كانت نعمة بالنظر إلى نفسها. وقد خلق الله تعالى الإنسان وجعل غاية خلقته التي هي سعادته ومنتهى كماله، التقرب العبودي إليه، كما قال: ﴿**وما خلقتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا ليعبدون**﴾[١٠٦] وهي الولاية الإلهية لعبده، وقد هيّأ الله سبحانه له كلّ ما يسعد وينتفع به في سلوكه نحو الغاية التي خلق

لها وهي النعم فأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة. فاستعمال هذه النعم على نحوٍ يرتضيه الله وينتهي بالإنسان إلى غايته المطلوبة هو الطريق إلى بلوغ الغاية وهو الطاعة، واستعمالها بالجمود عليها ونسيان ما وراءها غيّ وضلال وانقطاع عن الغاية وهو المعصية"(١٠٧).

وفي ضوء ما تقدّم، نُدرِك لميّة اطلاق القرآن ألفاظ مثل: الدّواب، الأنعام... على الأشخاص الّذين عطّلوا إدراكهم وشعورهم وقدرتهم وفعاليّتهم (التي هي مؤشّرات الحياة الإنسانيّة)؛ لأنّهم نزلوا بالإرادة الحرّة إلى أسفل سافلين في مراتب الوجود(١٠٨).

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ*...*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ (١٠٩). ويقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾(١١٠). وكذلك قوله تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا**﴾(١١١).

ويحدّثنا الإمام زين العابدين عليه السلام عن الربط الوثيق بين الحياة الحيوانية وبين عدم الشكر والحمد الذي هو مقتضى الهدف الوجودي للإنسان، فيقول: "والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة؛ لتصرفوا في مننه فلم يحمدوه، وتوسّعوا في رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حدّ البهيمية، فكانوا كما وصف في محكم كتابه: ﴿**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا**﴾"(١١٢).

وبناءً على هذا التحليل، يتضح معنى (الميت الحيّ) الّذي تقدّم في رواية الإمام علي عليه السلام: "... **فالصورةُ صورةُ إنسان، والقلبُ قلبُ حيوان، لم يعرفْ بابَ الهدى فيتبعه، ولا بابَ العمى فيصدَّ عنه، فذلك ميّت الأحياء**"(١١٣). وما روي عنه عليه السلام: "**إنّ اللهَ عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلًا بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقلُهُ شهوتَه فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوتُهُ عقلَه فهو شرٌّ من البهائم**"(١١٤).

الخاتمة

البحث عن الحياة الطيّبة هو بحث عن الهدف الوجودي الذي خُلِق لأجله الإنسان، فلا يعلوه بحث، إذ ليس بعد الغاية النهائية قضيّة أهم، فكلّ ما عداها هو دونها، ويمكن أنْ نخلص إلى مجموعةٍ من النتائج التي تمكّن البحث أنْ يبلورها بشكلٍ واضح:

- ليس من شيءٍ إلّا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملُّه، إلّا الحياة الطيّبة، فالحياة أعظم نعمةٍ يعتقدها الإنسان لنفسه، إذ ليس وراء الحياة إلّا العدم والفناء، فغير الحيّ لا وجود له معرفيًّا، فهو بمنزلة العدم بالنسبة إلى عالم الإدراك والشعور.

- الحياة الطيّبة سنخ حياةٍ خاصّةٍ تتقوَّم بالخلو من الفقدانات والأعدام والنواقص التي تنغّص عيش الإنسان وتكدّر صفوه، وبتلبية حاجاته التي تتحرّك به نحو الهدف الوجودي.

- النفس الإنسانية مجبولةٌ بالفطرة على معرفة الله تعالى والانجذاب إليه والخضوع أمام عظمته.

- إذا كان مقوِّم الحياة الطيّبة تأمين الحاجات الفطرية، فعدم السعي إلى معرفة الله تعالى والخضوع له يصيب الإنسان بحالات اضطرابٍ نفسيّ وقلقٍ وكآبةٍ وحزنٍ وعدم الشعور بالتوازن، فلا حياة طيّبة بدون معرفة الله تعالى وتوحيده.

- أكّدت الروايات على أنّ حقيقة الحياة الطيّبة لا تتقوَّم إلّا بالتوحيد، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: "لا حياة إلّا بالدِّين، ولا موت إلّا بجحود اليقين"، "التوحيد حياة النفس".

- تتقوّم الحياة الطيّبة بالتوحيد الفعليّ لله تعالى أي طاعة أوامره ونواهيه والخضوع لها، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام، في دعاء عرفة: "**فَأَحْيِنِي حَيَاةً طَيِّبَةً تَنْتَظِمُ بِهَا أُرِيدُ، وَ تَبْلُغُ مَا أُحِبُّ مِنْ حَيْثُ لَا آتِي مَا تَكْرَهُ، وَ لَا أَرْتَكِبُ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ**".

- الإعراض عن معرفة الله تعالى وذكره وحضوره في حياة الإنسان يؤدّي إلى الحياة الخبيثة التي اصطلح عليها القرآن الكريم: (معيشة ضنكًا)، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[١١٥].

- الكافر لكونه غير موحّد، ولم يأتمر بها أمره الله تعالى ولم ينتهِ بما نهاه عنه فإنّه يتّصف بحصة خاصة من الحياة البيولوجيّة الماديّة، ولكنّه يفقد الحياة الطيّبة الحقيقيّة، التي تُفاض على الإنسان

بسبب معرفة الله وتوحيده، فهو (ميّت الأحياء).

– وقد أكّدت الروايات على فكرة (ميّت الأحياء)، عن أمير المؤمنين ﷺ: "**وآخر قد تسمى عالمًا وليس به... فالصورةُ صورةُ إنسان، والقلبُ قلبُ حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميت الأحياء!**".

الهوامش

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة:١٣٣.
٢- النحل/ ٩٧.
٣- طه/ ١٢٤.
٤- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ١٤/ ٢٢٥.
٥- الخراساني، محمد كاظم، كفاية الأصول، ١/ ١٠.
٦- المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ١/ ٥٥.
٧- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، المباحثات، ٢٩٩. السهروردي، يحيى، كتاب التلويحات، ٧٥. الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ٦/ ٤١٣. والطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، المرحلة ١٢، الفصل ١٥. والميزان، ٢/ ٣٤٥-٣٤٦.
٨- الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ٥٤. يقول: " إذا ثبت كونه قادرًا، وجب أن يكون حيًّا ". الطوسي، (المعروف بنصير الدين)، الطوسي، محمد بن محمد بن الحسن، تجريد الاعتقاد، ١٩٢. والإيجي، شرح المواقف، ٨/ ٨٠. يقول: " في أنّه تعالى حي هذا ما اتفق عليه الكل؛ لأنّه عالم قادر". التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ٤/ ١٣٨. يقول: " ودلّ العلم والقدرة على الحياة".
٩- مايـر، إرنسـت، هـذا هـو علـم البيولوجيـا- دراسـة في ماهيـة الحيـاة والأحيـاء، ١٥/ ٤٠. يقـول مايـر [مـدرّس علـم الحيـوان في جامعـة هارفـرد الأمريكيـة]: "... هـذه الخصائـص المميـزة للكائنـات الحيـة المتعضّيـة تحقّـق لها عـددًا من القـدرات التي لا وجـود لها في الأنظمـة غير الحيّـة، منهـا: القـدرة على التطـور- القـدرة على الاستنتسـاخ الـذاتي- القـدرة على النمـو والتمايـز على أسـاس برنامـج جينـي، القـدرة على النشـاط الأيـضي- القـدرة على التنظيـم الـذاتي... القـدرة على التجـاوب مـع المؤثـرات... القابليـة للتغـير الازدواجـي... كل هـذه الخصائـص المميـزة للكائنـات الحيّـة المتعضّيـة تؤهلهـا لأنْ تحتـل مرتبـة متميّـزة عـن الأنظمـة غـير الحيّـة".
١٠- السهروردي، يحيى، المشارع والمطارحات، ٣١٧.
١١- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ١٧/ ٣١٣.
١٢- م.ن، ٩/ ٤٢.
١٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة:١٣٣.
١٤- الشيرازي، محمد بن إبراهيم ، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ٦/ ٤١٣.
١٥- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد ، ١/ ٢٩٦.
١٦- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ١/ ٧١٠.
١٧- الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة ٢٣٠.
١٨- م.ن، الخطبة: ٣٤.
١٩- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ١/ ٧١٠.
٢٠- م.ن، ٤/ ٢٩٧٤. عن غرر الحكم: ٢١١٨.

٢١- الطوسي، محمد بن الحسن، الامالي ، ٢٨.
٢٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة: ٨٧.
٢٣- الفارابي، أبو نصر، رسالة السعادة، ٤٧ و٤٩.
٢٤- النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ١/ ٥٧.
٢٥- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ٨/ ١١١. ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس في اللغة، ٥/ ١٣٩. و الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ٥/ ١٨١٣. والزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس ، ١٦/ ٧٦.
واصطلاحًا انظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، المبدأ والمعاد، ٣٣٨. وابن سينا، الحسين بن عبد الله، الإشارات والتنبيهات، ٣/ ٣٤٠. وابن الفناري، محمد بن حمزة،، مصباح الأنس بين المعقول والمشهود، ٢٢٥.
٢٦- راغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ٧٢٦.
٢٧- النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ١/ ٣٥.
٢٨- الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، ٢٨٦.
٢٩- الذاريات/ ٥٦.
٣٠- هود/ ١١٨-١١٩.
٣١- البقرة/ ٣٠.
٣٢- الصدوق، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، ص١٣، ح١٠.
٣٣- الصدوق، محمّد بن عليّ ، التوحيد، ص ٣٥٦، ح٣.
٣٤- م.ن، ح١١.
٣٥- الأنعام/ ٥٤.
٣٦- الأعراف/ ١٥٦- ١٥٧.
٣٧- النور/ ٥٥.
٣٨- هود/ ٥٠، ٦١، ٨٤.
٣٩- الصدوق، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، ص١٠، ح٤.
٤٠- الروم/ ٣٠-٣١.
٤١- البخاري، محمد بن أسماعيل، صحيح البخاريّ، ٢/ ١٠٤.
٤٢- الصدوق، محمّد بن عليّ ، من لا يحضره الفقيه، ٢/ ٤٩، ح١٦٦٨.
٤٣- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ١/ ٢٩٣.
٤٤- الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الأسفار الأربعة، ٨/ ٣٥٥. والريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلاميّة، ٢/ ٣٠١.
٤٥- الخوئي، أبو القاسم، ، مصباح الأصول، ١/ ٢٧٦.

٤٦- الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، المرحلة: ١١، الفصل: ١١، ص٣١٨.
٤٧- الحج/ ٣١.
٤٨- لقمان/ ٢٥.
٤٩- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ١٢.
٥٠- الروم/ ٣٠.
٥١- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ١/ ٢٤١.
٥٢- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ١٢.
٥٣- الصدوق، محمّد بن عليّ، التوحيد، ص٣٣٠.
٥٤- الأعراف/ ١٧٢.
٥٥- العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي ، ٢/ ٤١.
٥٦- المصدر نفسه، ص٢١٩.
٥٧- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ١/ ٢٤١.
٥٨- لقمان/ ٢٥.
٥٩- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ١/ ٢٨١.
٦٠- البقرة/ ١٣٨.
٦١- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ١٤.
٦٢- الحجرات/ ٧.
٦٣- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ١/ ١٩٩.
٦٤- الصدوق، محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، ص٥.
٦٥- م،ن، التوحيد، ص٢٣١.
٦٦- الطوسي، محمد بن الحسن، الامالي ، ص٦٥٠.
٦٧- الصدوق، محمّد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه، ١/ ٢٨١، ح٨٦٣.
٦٨- الهندي، علي المتقي بن حسام، كنز العمّال، ١٦/ ٤٤٠.
٦٩- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ٢ ص٥٤٤.
٧٠- الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، ٨/ ١٥٩. والطبرانّي، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ٥/ ١٣٠.
٧١- نقلاً عن: العيسوي، عبد الرّحمن، دراسات في تفسير السّلوك الإنساني، ص١٩٣.
72- Is religion protective against suicidal behaviour for LGBT individuals? (netecr.org)
٧٣- رسل، برتراند، لماذا لست مسيحيًّا، ص٢٦.
٧٤- م.ن، ٣٥.
٧٥- الصدر، محمد باقر، المرسل الرسول الرسالة، ص١٣-١٤.

٧٦- الزمخشري، جارالله، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٣/ ٥.
٧٧- يونس/ ١٢.
٧٨- العنكبوت/ ٦٥.
٧٩- النحل/ ٩٧.
٨٠- البقرة/ ١١٢.
٨١- الأحقاف/ ١٣.
٨٢- الرعد/ ٢٨.
٨٣- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٨/ ٢٤٧.
٨٤- الأعراف/ ٣٢.
٨٥- المجلسي محمد باقر، بحار الانوار، ٧٠/ ٦٢.
٨٦- الغرقئ، كزبرج، القشرة الملتزمة ببياض البيض، أو البياض الذي يؤكل. القفر: خلو الأرض من الماء. والجدب: انقطاع المطر ويبس الأرض.
٨٧- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٥/ ٧٣، ح١.
٨٨- انظر حول هذه الروايات: البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ٢/ ٥٣٥ وما بعد.
٨٩- البقرة/ ١٥٥.
٩٠- البقرة/ ١٥٥-١٥٧.
٩١- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ٦٢.
٩٢- م.ن، ص٦٠.
٩٣- انظر لهذه الأحاديث: الريشهري، محمد، ميزان الحكمة ، ٢/ ١٠٩٤.
٩٤- الواسطيّ، عليّ بن محمّد الليثيّ، عيون الحكم والمواعظ، ص٣٢٩.
٩٥- الصدوق، محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢/ ٩٩، ح١.
٩٦- للتفصيل حول هذه الفكرة، انظر: عجمي، سامر توفيق، التربية بنظرة فلسفيّة، ص١٧٩-١٨٠. وعجمي، سامر توفيق، الحياة الطيّبة في القرآن الكريم، قراءة في فكر العلامة الطباطبائي، مجلة الاستغراب، العدد٢٣.
٩٧- المؤمنون/ ١١٥.
٩٨- الذاريات/ ٥٦.
٩٩- البقرة/ ٧٣.
١٠٠- م.ن/ ٢٦٦
١٠١- الأنعام/ ٦٥.
١٠٢- النحل/ ٦٥.
١٠٣- الذاريات/ ٢٠-٢١.
١٠٤- النحل/ ٧٨. وانظر: الملك/ ٢٣. المؤمنون/ ٧٨. السجدة/ ٩.

١٠٥- الطباطبايي، محمد حسين، الميزان، ٤/ ٣٨.
١٠٦- الذاريات/ ٥٦.
١٠٧- الطباطبايي، محمد حسين، الميزان، ٢٠/ ٣٩٧-٣٩٨.
١٠٨-م.ن، ٩/ ٣٩. و١٥، و٢٤٢.
١٠٩- الأنفال/ ٢٢-٢٤.
١١٠- الأعراف/ ١٧٩.
١١١- الفرقان/ ٤٤.
١١٢- الصحفية السجادية، الدعاء الأول، التحميد لله ﷻ.
١١٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١/ ١٨١.
١١٤- الصدوق، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، تقديم ص٥.
١١٥- طه/ ١٢٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* الصحفية السجادية

* نهج البلاغة

* ابن الفناري، محمد بن حمزة، مصباح الأنس بين المعقول والمشهود، تصحيح وتقديم: محمد خواجوي، ط١، ١٤١٦هـ.

* ابن سينا، حسين بن عبد الله، الإشارات والتنبيهات، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، ط١، دار النعمان، بيروت، ١٩٩٢م.

* ـــــــــــ، المباحثات، تحقيق وتعليق محسن بيدارفر، ط١، قم، انتشارات بيدار، ١٤١٣هـ.

* ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

* ابن منظور، محمد بن مكرّم، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

* الأخوند الخراساني، محمد كاظم، كفاية الأصول، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٩هـ.

* الإيجي، عبد الرحمن، شرح المواقف، تحقيق: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ويليه حاشيتي السيالكوتي والجلبي، الطبعة الأولى، منشورات الشريف الرضي، ١٣٢٥هـ -١٩٠٧م.

* البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، مؤسسة البعثة.

* البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاريّ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

* البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

* التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، تحقيق وتعليق مع مقدمة في علم الكلام للدكتور عبد الرحمن عميرة، تصدير فضيلة الشيخ صالح موسى شرف، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

* الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

* الخوئي، أبو القاسم، مصباح الأصول، (بقلم محمد سرور الواعظ الحسيني البهسودي)، ط٦، قم، مكتبة الداوري، ١٤٢٠هـ.

* الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط١، دمشق/ بيروت، دارالقلم، الدار الشاميّة، ١٤١٢هـ.

* رسل، برتراند، لماذا لست مسيحيًّا؟ ترجمة عبد الكريم ناصيف، ط١، دمشق-بيروت، دار التكوين، ٢٠١٥.

* الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلاميّة، تحقيق مركز بحوث دار الحديث، ط١، دار الحديث، ١٤٢٥هـ.

* ـــــــــــ، ميزان الحكمة، ط١، دار الحديث، ١٤١٦هـ.

* الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، بيروت، دارالفكر، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

* الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٢هـ.

* السهروردي، يحيى (المعروف بشهاب الدين)، المشارع والمطارحات، مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، تصحيح ومقدمة هانري كُربن، طهران، الناشر: بزوهشكاه علوم انسانى ومطالعات فرهنكي، ١٣٨٠هـ.ش.
* ـــــــــ، كتاب التلويحات، مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، تصحيح ومقدمة هانري كُربن، طهران، الناشر: بزوهشكاه علوم انسانى ومطالعات فرهنكي، ١٣٨٠هـ.ش.
* الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، خرج مصادره الشيخ حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
* الشيرازي، محمد بن إبراهيم (المعروف بصدر المتألهين)، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
* الشيرازي، محمد بن إبراهيم (المعروف بصدر المتألهين)، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، مع حواشي الحكيم المحقق الحاج ملا هادي السبزواري، تعليق وتصحيح وتقديم السيد جلال الدين الآشتياني، ط٢، المركز الجامعي للنشر، مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٨١م.
* ـــــــــ، المبدأ والمعاد، تقديم وتصحيح جلال الدين الآشتياني، ط٣، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ.
* الصدر، محمد باقر، المرسل الرسول الرسالة، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
* الصّدوق، محمد بن علي، التوحيد، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
* ـــــــــ، علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلوم، النجف الأشرف، منشورات مكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ -١٩٦٦م.
* ـــــــــ، معاني الأخبار، تعليق علي أكبر الغفاري، تقديم حسين الأعلمي، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
* ـــــــــ، من لا يحضره الفقيه، بيروت، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
* الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٢هـ.
* ـــــــــ، نهاية الحكمة، بتعليقة محمّد تقي مصباح اليزدي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي.
* الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
* ـــــــــ، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٤هـ.
* ـــــــــ، تجريد الاعتقاد، حققه محمد جواد الحسين الجلالي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧هـ.
* عجمي، سامر توفيق، التربية بنظرة فلسفيّة، مركز الأبحاث والدراسات التربوية، ط١، بيروت، دار البلاغة، ١٤٣٩هـ -٢٠١٨م.
* ـــــــــ، الحياة الطيّبة في القرآن الكريم- قراءة في منظومة العلامة الطباطبائي، مجلة الاستغراب، العدد٢٣، ربيع ٢٠٢١م.
* العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية.
* العيسوي، عبد الرّحمن، دراسات في تفسير السّلوك الإنساني، بيروت، دار الرّاتب الجامعية، ١٤١٩هـ.

* الفارابي، أبو نصر، التنبيه على سبيل السعادة، دراسة وتحقيق سحبان خليفات، ط١، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٧م.
* ـــــــــــ، رسالة السعادة، تحقيق جعفر آل ياسين، دار المناهل.
* الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزمي وإبراهيم السمرائي، ط٢، إيران، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.
* الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية.
* مايرـ إرنست، هذا هو علم البيولوجيا- دراسة في ماهية الحياة والأحياء، ترجمة عفيفي محمود عفيفي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٧، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢م.
* المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
* المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
* المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط٢، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، بيروت، دار المفيد للطباعة، ١٤١٤هـ.
* النراقي، محمد مهدي بن أبي ذر، جامع السعادات، بيروت، دار المرتضى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
* الهندي، علي المتقي بن حسام، كنز العمّال في السنن والأقوال والأفعال، ضبط بكري حياني، تصحيح صفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
* الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
* Zortea, Tiago, Is religion protective against suicidal behaviour for LGBT individuals? https://netecr.org/2017/09/15/religion-lgbt/ netecr.org